شجاعـــة مردية !.

للاستاذ كامل السيد شاهين

مظلومون أولئك الشعراء الذين كانوا يلوذون بقصور الخلفاء ويغشون مجالسهم ، ويمعنون نواديهم بالمؤانســـة والمطارحة ، والمهارشة والاستثارة ، ثم هم لا يستطيعون أن يحبسوا ألسنتهم عن قولة الحق إذا غرضت قولة الحق ، ولا يستطيعون أن ينكروا ذواتهم ، ويفنوا فى الخليفة فناء مطلقاً ليرضوا غروره ، ويشعروه بأنه هو هو ولا شىء معه ، مما يمشى على ظهر الأرض ، أو يسبح فى جو السماء .

مظلومون أولئك الشعراء لأنهم كانوا يقدمون على الخلفاء دون أن يدرسوا نفوسهم ، ويتعرفوا على ما أصابهم من الغرور الذى لا يسمح لشىء أن يقول : هأنذا !

ولقد يحدثنا التاريخ عن كثير من الشعراء كانوا فريسة سهلة لبعض الخلفاء ، وما كان لهم من جناية إلا أنهم عرفوا أنفسهم ولم ينكروها ، وتحدثوا عنها دون تحرج أو خشاة ، فأصابهم من ذلك ما أصابهم من إهانة وحرمان ، أو ضرب وإعنات ، أو هلاك وإتلاف .

وفى الحق ، إن الخلفاء كانوا بذلك ينشرون النفاق على أشنع صورة وأبشع وجه ، وكانوا يحبذون الملق فى أوسع مـــدى ، وبأقوى أنواع الاستحثاث ؛ حتى صارت صحيفة الشعر العربى ربداء دكناء بشعة ، وصار قوامه الملق المزرى ، والتزلف المقيت وحتى كاد يخرج عن حدود الشعر ، بعدم إنمائه من الشعور وبانبثاقه عن نبع الطمع والملق ، لا عن إعجاب بالممدوح ، أو حب صحيح له .

لقد فهم الشعراء أنهم حين يسمون إلى الخلفاء ، ينبغى أن تتوجه عيونهم وعقولهم ، وأن تتوجه ألسنتهم وقلوبهم ، وأن تتوجه شهاداتهم وأحكامهم ، ينبغى أن يتوجه ذلك كله إلى مرضاة الخليفة ، وإشاعة السرور فى نفسه ، وإدخال الروح على قلبه ، وإلا فليس هناك إلا السطوة المردية والبطشة الكبرى .

هذا الفرزدق بن غالب ، وقومه من تميم من هم ، حيث العدة والعديد ، والبذل والجود ، والشهامة والأنفة ، دخل على سليمان بن عبد الملك فرغب اليه سليمان أن ينشده ، فظن الفرزدق أنه يريد شعراً صادقا ، فانشده :

وركب كأن الريح تطلب عندهم ... لها ترة ، من جذبها بالمصائب
إذا استوضحوا ناراً يقولون ليتها ... وقد خصرت أيديهم نار غالب

ماذا دهـاك — يافرزدق — فتذكر غالباً أباك ، وتثنى على كرمه هـذا الثناء الحر ، لقد غاظ ذلك سليمان بن عبد الملك فبرم بالفرزدق ، وتغير لونه ، وأشار إلى نصيب أن ينشده فأنشـده حتى أرضـاه ، مدحاً كذوبا مزوراً ، وخرج نصيب يحمل سنى الجوائز ، وخرج الفرزدق صفر اليدين ، ليقبض جوائزه من أبيه الجواد ، كما سخر منه بذلك سليمان .

وربما كان الخذلان والحرمان أهـون ما يلاقى شـاعر تحدثه نفسه أن يظهرهـا أمام خليفة جائع إلى كذاب التمداح ، وربمـا كان للفرزدق من عشيرته الباذخة المجد ما يحميه من صولة سليمان إذا ما فـكر سليمان أن يصول عليه ، وربما كان لسياسة أمية فى الرفق والتحلم مندوحه عن السطو والثهور .

ولـكن يحدثنا التاريخ كذلك أن هشام بن عبد الملك ، دخل عليه — إسمعيل بن يسار فاستنشده فقال :

إنى وجدك ما عودى بذى خور ... عند الحفاظ ، ولا حوضى بمهدوم
أصلى كريم ومجدى لا يقاس به ... ولى لسان كحد السيف مسموم
أحمى به مجـد أقوام ذوى حسب ... من كل قـوم بتاج الملك معموم

الأناسى مدة ستة أشهر ، واشترطوا تحـويل المجلس التأسيسى إلى مجلس نيـابى . وبعد انقضاء المـدة تستفتى البلاد مرة أخرى

لما شـام الحلبيون تمسك الشاميين بمطلبهم ضربوا بهم عرض الحائط . وقد استأسدوا وتمردوا للشـاميين ، لا بحولهم وقوتهم هم ، بل بقوة وسطوة « الادارة المستترة » واعلنوا رسمياً ضرورة التأسيسيين نواباً ، وهـــؤلاء النواب هم الذين انتخبوا الشيخ الجليل السيد هاشم الأتاسى رئيساً للجمهورية السورية

للكلام بقية

حبيب الزحلاوى

جشاجح ، سادة ، بلج ، مرازبة جرد ، مقاق ، مسامیح ، مطاعیم

ویستمر إسمعیل یغالی بنفسه ، ویعرف لقومه حقهم . وهشام یتقد قومه غیظاً منه ، ویغلی صدره حفیظة علیه ، ویفکر ویطول تفکیره فی البطش به . ثم یجیبه بهذه القولة الماثلة الشائنة ، الظالمة الفاشحة : « أعلی تفخر ؟ وإیای تنشد قصیدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك ؟! » ثم لا یطفیء غضبته ، ویهدیء ثائرته ، إلا أن یأمر بغطسه فی الماء ، حتی لتکاد روحه أن تخرج ثم تخرجه الزبانیة — وهو یشر — لینفی من وقته إلی الحجاز .

وربما زعم بعض المؤرخین أن هذا إنما هو أخذ علی ید الشعوبیة ، وکسر لهذه العصا الأعجمیة التی ترتفع فی وجه العرب ، وظنی أن هذا یصح کعذر یتخذه الذین یجنحون لتبرئة هشام وحمل عمله هذا علی بعد النظر السیاسی ، ولکن ماذا یرون فی قولة هشام : أعلی تفخر ، وتتمدح بأعلاج قومك : ماذا نری إلا هشاما کبر علیه أن یری الشاعر نفسه شیئاً وأن یثبها فی حضرة الخلیفة الجلیل ، وقد کان الخلیفة ینتظر من الشاعر أن یصرف کل مدیح الیه ، وینسی للناس کل فضیلة بین یدیه .

وإذا رقب الأمر بإسمعیل بن یسار عند الغطس فی الماء والنفی إلی الحجاز ، فلقد أتی الفخر فی حضرة الخلفاء علی نفس بشار ، وأورده مورد الهلکة . ولقد یقول القائلون : إن بشارا قضت علیه الزندقة ، ویذهبون فی ذلك مذهباً ینطلی علی عامة الناس وربما أیدوا مذهبهم ذاك بما روی عن واصل بن عطاء ، من استمداء علی بشار حیث یقول « أما لهذا الأعمی المشنف ، المکنی بأبی معاذ من یقتله ، والله لولا أن القیلة سجیة من سجایا الغالیة لدست الیه من یبعج بطنه فی جوف بیته . . . » فما کان یحمل واصلا أن یقول هذه القولة الهائجة المهیجة فی حق بشار لولا ما لمسه من زندقته وتحریضه علی الفسوق ، واغرائه بالمناکر .

ولقد یسلم مثل هذا القول من النقد لو کان بشار وحده من بین شعراء عصره هو الخارج عن حدود الله ، البائح بالغزل المتهالك ، المغری للشباب بالفسوق والفجور . إذن لسلمنا واسترحنا وأرحنا . ولکنه کان یضطرب فی بغداد مع بشار من هم أشد من بشار مجونا ، وأکثر منه غلوا فی إفساد الشباب ، وذکر السوءات وأبعد مدی فی العکوف علی اللذات ، وکانوا یغدون ویروحون ویمرون المجالس ویغشون الخلفاء فلا یعرض لهم أحد بشر ، ولا یحرص علیهم أحد بقتل أو بمنع ، فهذا حماد عجرد . وهذا أبو دلامة .. یشربان ویطربان ، ویقولان فی الشراب وفی الدین وفی اللذة ما یقولان ، مجاهرة ومعالنة ، ثم یغدوان فی أمان من الخلیفة ، وأمان من الخلفاء جمیعاً وربما انقلبا بکریم الهدایا ، وسنی الجوائز ، وتشیب الشباب .

ولقد یسلم هذا القول فی بشار . لولا أن العلماء کثیرا ما یکونون « مخالب القطط » التی یتخذها الخلفاء والملوك ، یهیئون لهم ، ویسایرون أغراضهم ، کما یشاء الملق وحب الدنیا ، تغریرا بالعامة ، وإیقاعا بالبسطاء ، فاذا ما أثار واصل الحفائظ علی بشار ، فلما یری من احتظائهم ، ودالتهم علی الخلفاء . وقد حق علینا أن نبدی ما أبرم الخلیفة ببشار ، فحمله علی أن یسطو به هذه السطوة النکراء ، حتی یلفظ روحه تحت بطون السیاط .

لقد کان فی بشار عجب مفرط ، واعتزاز بالنفس ، وإقدام علی القول ، فاذا بدت له صفحة الکلام نطق ، لا یجمجم ولا یتوقف ولا یراجع نفسه ، ولقد عرف لنفسه حقها بین یدی الخلیفة ، کما عرف لها حقها بعیدا عن قصر الخلیفة . ولم یعتد الذلة وبذل ماء الوجه حتی فی السؤال والاستماحة . فهو دائما العزیز الکریم ، وهو أبدا الأبی الأشم .

وإنه لعند المهدی ذات یوم إذ سأله : فیمن تعتد یابشار ؟ ، فقال : أما اللسان والرأی فعربیان ، وأما الأصل فمجمی ، کما قلت فی شعری : —

ونبئت قوما بهم جنة یقولون من ذا وکنت العلم
ألا أیها السائلی جاهدا لیعرفنی ، أنا أنف الکرم
نمت فی الکرام بنی عامر فرومی ، وأصلی قریش العجم

حتی قال :

فانی لأغنی غناء الفتی وأصبی الفتاة فما نعتصم

وکان أبو دلامة حاضرا ، وکان الملق کذلك حاضرا ، فقال کلا ! ، لوجهك أقبح من ذاك ، ووجهی مع وجهك ! . قال بشار : ما رأیت رجلا کالیوم أصدق علی نفسه ، وأکذب علی جلیسه منك . والله إنی لطویل القامة ، عظیم الهامة ، تام الألواح ،